البحث العلمي

في مصر

للدكتور علي مصطفى مشرفة

استاذ الرياضة التطبيقية بكلية العلوم

ليس البحث العلمي غريباً عن ديارنا فهي مهده الذي نشأ فيه وترعرع وهي بيته الذي آواه في عصور متعددة . واليوم يعود العلم إلينا بعد غيبة طويلة فما أخلقنا بأن نعنى بأمره ونرعاه . وما أجدره بأن يستقر بيننا ويطيب له المقام . ففي مصر اليوم نفر غير قليل من المشتغلين بالعلوم يلذ لهم البحث والاستقصاء ومنهم من يوفق إلى الكشف عما خفي من المسائل العلمية والاضافة الى المعرفة البشرية كما يفعل اقرانهم من علماء الامم المتحضرة . الا اني لا أخفي على القارىء أني غير مرتاح الى حال هؤلاء العلماء والقادة المفكرين غير مطمئن على مصير الجهود التي يبذلونها . ذلك أن هذه الجهود قد أتت في الواقع وفق الامر نتيجة لبعض ظروف استثنائية في تاريخنا المعاصر كان من شأنها أن حملت بعض الافراد على مغالبة النظم الموضوعة والتغلب عليها . ولكي يفهم القارىء كيفية ذلك سأرجع به الى قبيل الحرب العظمى منذ نحو خمس وعشرين سنة . ففي ذلك الوقت كانت وزارة المعارف ترسل بعوثها الى خارج القطر وتحرّم على اعضاء هذه البعوث أن ينتظموا في الجامعات أو ان يدرسوا لنيل الدرجات الجامعية . ثم حدث أن ثارت نفس أحد هؤلاء الطلاب على هذا الحرمان فعارض مشيئة الوزارة وخرج على طاعتها ودخل الامتحان الجامعي ونال الدرجة فعاد الى مصر واضطهد ايما اضطهاد الا أن خطوته الجريئة كانت خطوة لا مرجع فيها فاضطرت وزارة المعارف اضطراراً الى ان تسمح لسائر اعضاء البعثات بالحصول على الدرجة الجامعية التي حصل هو عليها ولكنها أصرت وتشبثت بأن لا يتعدى أحد هذه الدرجة مهما تكن مقدرته ومهما يكن استعداده ثم حدث أن ثار عضو آخر من اعضاء البعثات على هذا التقييد

حدّثته نفسه أن يتعدى مرحلة الدرس والامتحان الى مرحلة البحث والابتكار فيُبيّض لهُ النجاح على الرغم من الوزارة وعلى الرغم من تعنتها. وجاراه في ذلك نفرٌ قليل ممن طمحت نفوسهم الى ان يكونوا علماء باحثين. هؤلاء النفر القليل ومن على شاكلتهم هم القائمون بالبحث العلمي في مصر اليوم وهم الذين تلتف عليهم إن ظروفاً استثنائية حملتهم على مغالبة النظم الموضوعة والتغلب عليها. فالمسألة كما يرى القارىء لم تخرج عن حد بعض مغامرات ناجحة، وبعض جهود فردية صادف أن لاقت نجاحاً. صحيح انهُ بانشاء الجامعة المصرية قد وجدت بيئة صالحة لبعض الشيء لنمو هذه المجهودات وتقدمها الا أننا نكون خادعين لانفسنا اذا تصورنا ان النظم والوسائل الحالية كفيلة بازدهار البحث العلمي في مصر او بتقويته. بل اني كثيراً ما اشعر بأن ما حدث وما كان مجرد حركة وقتية مآلها الزوال السريع في جيل او جيلين. وتاريخنا الحديث مفعم بمثل هذه النهضات القصيرة الآجال كبارقة الامل لا تلبث ان تزول بل ان مثل هذه النهضة الزائلة هي بالضبط ما حدث اثر البعوث العلمية التي بعثها ساكن الجنان محمد علي باشا إلى اوربا منذ اربعة أجيال

ذلك انهُ لكي تنمو هذه المجهودات وتزدهر يجب ان توضع لها النظم الكفيلة بحسن رعايتها وان تكوّن لها اسس ثابتة تقوم عليها. فالبحث العلمي كسائر مجهود آخر في المجتمع الحديث لا يمكن ان يترك امره للصدفة او للجهود الفردية المتشعبة. والى القارىء بعض الوسائل التي لا مفر من اتخاذها اذا شئنا أن نقوم بقسطنا من البحث العلمي بين الامم المتحضرة: —

(اولاً) انشاء مجمع لتقدم العلوم يضم الباحثين والمبتكرين في مختلف العلوم

(ثانياً) انشاء مجلس اعلى للبحوث العلمية تكون مهمته تشجيع البحث العلمي ورصد الاموال عليه وربط فروعه المتعددة وتوجيه البحوث التطبيقية والفنية للمصلحة القومية والمصلحة العامة

(ثالثاً) العمل على ايجاد صلات علمية بين مصر والبلاد الاخرى عن طريق البعثات الدولية القائمة وانشاء لجنة دائمة لهذا الغرض

هذه امور ثلاثة اساسها تقدير البحث العلمي والعلماء الباحثين تقديراً صحيحاً فاذا وجد هذا التقدير وتبعه التنظيم الذي أشرت اليه فصارت شجرة البحث العلمي شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء او بقي الحال على ما هو عليه الآن واذن فقد اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار